

الفصل الثامن

ماذا يريد العرب؟

obeikandi.com

على هامش البيان

كتبت مقالات هذا الفصل بمناسبة البيان الذي أصدره المؤتمر العربي المنعقد من الملك سعود ، وفخامة شكري القوتلي ، والرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين الذي عقد في فبراير سنة ١٩٥٧ ، وأعلنوا فيه التمسك بالوحدة العربية ، وحقوق العرب في فلسطين ، وسيادتهم على أراضيهم ومياهم ، والتمسك بسياسة الحياد الإيجابي محافظة على مصالحها القومية ، ونبدأ بنشر هذا البيان :

« نص البيان المشترك » :

عقد في القاهرة في الفترة ما بين ٢٥ رجب عام ١٣٧٦ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٧ اجتماع بين جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، و جلالة الملك حسين الأول ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، وفخامة الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، والسيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ورجال حكوماتهم ، وهو الاجتماع الرابع من سلسلة الاجتماعات التي يعقدونها بين أونة وأخرى لدراسة الموقف الدولي والتباحث في القضايا التي تمس الأمة العربية وتؤثر في مجرى حياتها ونهوضها وتقدمها وحفظ كيانها .

✳ جهود الملك سعود في أمريكا :

ولقد استعرض المجتمعون الجهود المشكورة التي بذلها صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية وما أوضحه جلالته للمسؤولين فيها من وجهات النظر العربية حول مشاكل الشرق

الأوسط وما تناوله البحث من أمور .

* سيادة مصر على القناة وعواقب عدم الانسحاب :

كما أوضح جلالته للرئيس الأمريكي بصورة خاصة حقوق العرب وقضيتهم بما في ذلك العدوان الأخير على مصر ونتائجها ، وحق مصر في سيادتها على قناة السويس ، وخطورة ما ينتج عن تمرد إسرائيل على قرارات الأمم المتحدة التي تنص على الانسحاب بدون قيد أو شرط من قطاع غزة وخليج العقبة إلى ما وراء خطوط الهدنة ، وذلك دون تحقيق أي مكاسب لإسرائيل نتيجة للعدوان الثلاثي .

ويؤكد المجتمعون أن دولهم حريصة على أن تقوم بدورها في المجتمع الدولي وأن تساهم بنصيبها في إرساء العلاقات الدولية على أسس تنحو بها نحو السلام والعدالة والرخاء بما يكفل احترام سيادتها ومصالحها .

إن الدول العربية المجتمعة وقد ازدادت قوة بوعي شعوبها ، وازدادت إيماناً بسلامة أهدافها ورسوخ فكرتها لتؤكد ما سبق أن أعلنته من عزمها على تجنب الأمة العربية مضار الحرب الباردة والبعد عن منازعاتها ، والتزام سياسة الحياد الإيجابي محافظة بذلك على مصاحها القومية . وكذلك تؤكد أن الدفاع عن العالم العربي يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيقي وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية .

يرى المجتمعون أنه رغم قرارات الأمم المتحدة وإجماع الرأي العام ، يبي بضرورة انسحاب إسرائيل إلى ما وراء خطوط الهدنة فإن العدوان الثلاثي ضد مصر لا زال قائماً بجميع آثاره ومظاهره طالما لم تنفذ إسرائيل قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب دون قيد أو شرط .

كما يرى المجتمعون أنه مما يهدد الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط ما يعانيه أهالي قطاع غزة على يد إسرائيل من أشد ألوان التنكيل والتعذيب .
ولذلك قرر المجتمعون :

١ - العمل على انسحاب إسرائيل فوراً إلى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد أو شرط .

٢ - التمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة وبسيادة العرب على أراضيهم ومياهم الإقليمية .

٣ - وجوب تعويض مصر من قبل الدول المعتدية عن جميع الأضرار واخسائر التي لحقت بها من جراء العدوان .

٤ - رفض جميع المحاولات التي تتجه للانتقاص من سيادة مصر وحقوقها في قناة السويس إذ أن قناة السويس جزء لا يتجزأ من مصر وسيادتها عليها كاملة ، وحرية الملاحة فيها مكفولة طبقاً لأحكام اتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ .

٥ - استنكار العدوان البريطاني على أراضي اليمن والتضامن معها في صد هذا العدوان .

٦ - التأييد المطلق لحق عرب الجزائر في الحرية والاستقلال وتمجيد نضالهم الجبار ضد قوى الاستعمار .

ويرى المجتمعون أن سياستهم التحررية المنبعثة عن إيمانهم بحق أمتهم في أن تحيا حرة مستقلة ، والمستندة إلى قوميتهم العربية التي برهنت للعالم أنها

حقيقة قائمة ، لتزيدهم تضامناً فيما بينهم لبلوغ الأمة العربية في حرية والوحدة والتقدم .

لقد صيغت كل كلمة وكل جملة في بيان الكبار بحيث تعبر عن مشاعر وأحاسيس العرب في كل مكان ، وبحيث تعلن للعالم كلها أين تقف القومية العربية المتحررة .

ففي عبارة رصينة واضحة يقرر البيان أن العرب يرحبون بكل يد تمتد لمصافحتهم ، فالعرب لا ينتصرون لمعسكر على معسكر ، وإنما يريد العرب الحرية والسيادة لأوطانهم ، والسلام والأمن للعالم أجمع .

وحين يتمسك الكبار باسم شعوبهم بمبدأ الحياد الإيجابي ، فإنما هم يؤكدون رغبة شعوبهم وشعوب كثيرة من هذا العالم في تجنب كل ألوان الحرب من باردة إلى ساخنة حتى تتوجه كل الجهود إلى بناء المجتمعات ورفع مستوى معيشة الفرد من أجل رخاء بني الإنسان .

ومن الطبيعي أن لا يفرض على أي إنسان الطريقة التي يحمي بها بيته ، لذلك كان البيان موفقاً أروع التوفيق حين قرر أن الدفاع عن العرب يجب أن ينبثق من داخل العرب لا أن يفرض عليهم من الخارج على صورة أحلاف أو موثيق ، فكل عربي يهتم أمر الدفاع عن بيته وأهله ودياره . وتاريخ العرب في هذا الشأن كله بطولة وشجاعة وتضحية وإباء ، لذلك فإن المنطق البسيط يحتم أن يكون أمر هذا الدفاع منبثقاً من كيان صاحب المصلحة في هذا الدفاع لا أن يفرض عليه فرضاً من خارج أهله ودياره وأرضه .

لقد أحاط البيان بجميع المشاكل التي تواجه الأمة العربية وأظهر فيها للعالم الخارجي الخطأ والصواب ، وأظهر أكثر من ذلك أن القومية العربية

أصبحت حقيقة لا يمكن تجاهلها ، وإنها ليست متعنتة ولا صاحبة ولا متجنية وإنما هي تسعى وراء الحقوق الشرعية المقدسة للعرب في أوطانهم وديارهم من غير عدوان على أحد ولا مساس بحقوق أحد .

ولن يرفض العرب أبداً مصافحة اليد التي تمتد إليهم بالحق والعدالة والمساواة .

ولن يفرط العرب في حقوقهم ما عاش عربي في أطراف هذه الأرض .
وكما كان العدوان الثلاثي نقطة تحول في تاريخ العالم كله ، فإن بيان أقطاب العرب نقطة تحول في تاريخ الأمة العربية .

ومن خلال سطور هذا البيان نستطيع نحن العرب أن نقرأ قصة كفاح الأمة العربية ومراحل تطورها عبر السنين ، وهي القصة التي كتبها ولا تزال تكتبها إلى يومنا هذا دماء العرب وعزيمة العرب .

وقد استهل أقطاب العرب البيان بشكر أخيهم الملك سعود على ما قام به من جهود زيارته للولايات المتحدة وما أوضحه جلالته للمسؤولين فيها من وجهات النظر العربية .

أما ما تحسه الشعوب العربية نحو سعود فهو شيء أكثر من الشكر وأروع من الامتنان ، إنه الفخر بهذا العاهل العربي الذي حمل الأمانة عن العرب جميعاً فأداها ، وناقش وناضل لا من أجل المملكة السعودية وإنما من أجل الأمة العربية جمعاء .

لقد سافر الملك سعود إلى الولايات المتحدة في ظروف عصيبة مشحونة .
فإنه بعد فشل العدوان ، كان لابد أن يعرف المسؤولون في الولايات المتحدة حقيقة وجهة النظر العربية التي شوحتها بريطانيا وفرنسا بمختلف

الادعاءات والأباطيل ، وتشوهها إسرائيل كل يوم عن طريق النشاط
'صهيوني المريب' .

وفي الولايات المتحدة أربعة معسكرات تعمل ضد العرب ، المعسكر
'الأول' هو أولئك الذين يعطفون على إنجلترا ، والمعسكر الثاني هو أولئك
الذين يتحيزون لفرنسا ، والمعسكر الثالث هو ذلك الذي ينتصر لإسرائيل .

أما المعسكر الرابع وهو الأهم فهو أولئك الأمريكيون الذين يعتقدون أن
مجرد شراء مصر للأسلحة من الكتلة الشرقية معناه أن مصر قد أصبحت
عدوة لأمريكا ، وإن إصرار العرب على الحياد الإيجابي يضر بمصالح أمريكا .

لذلك جاءت زيارة الملك سعود حاسمة ، فالملك سعود لم يكن يتحدث
باسم السعودية وحدها وإنما كان يتحدث باسم ربة وباسم الأردن وباسم
مصر وباسم كل عربي يعرف العزة ويعرف الكرامة .

وعاد إلينا سعود بعد أن أدى واجبه ، به ربه وضميره وأمه ، فقد
قال كلمة الحق واضحة عالية فساعدنا نحن العرب . وقد عرفناه دائماً
حريصاً على العهد ثابتاً على المبدأ ، أخاً للعرب في السراء والضراء .

فماذا يريد العرب ؟

وما هي حقيقة المعركة ؟

ماذا يريد العرب ؟

وهل يخدم العرب في مرحلة كفاحهم الحالية روسيا أم الشيوعية ؟

وهل في التزام العرب لمبدأ الحياد الإيجابي ما يهدد أمن أمريكا أو غيرها

من الدول ؟

إنني أذكر الأيام القليلة التي تلت إيقاف إطلاق النار في ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وأذكر أن بريطانيا وفرنسا لكي تغطيا موقفهما أمام أمريكا لجأتا إلى الترويج لما سموه وقتذاك المؤامرة الشيوعية الكبرى التي زعموا أن مصر كانت تعد لها مع روسيا لكي يدخل الشرق الأوسط كله تحت سيطرة الشيوعية بمساعدة مصر ، وذهب خيالهم إلى الحد الذي قالوا إنهم عثروا على مستندات تؤيد هذا الزعم ، ثم خرجت إسرائيل على العالم بحكاية استيلائها على ما قيمته خمسون مليوناً من الدولارات من الأسلحة والعتاد الروسي ، وردت بريطانيا على الفور هي وفرنسا بأن كميات هائلة من الأسلحة الروسية كانت مخزونة في مصر وفي انتظار المتطوعين الروس لكي يستخدموها !

وأذكر أيضاً أن حديث هذه المؤامرة قد انهار وتوقف فجأة بعد أن أعلنت مصر تحديدها لمن يثبت هذه الخرافة الكبيرة ، وطلبها - أي مصر - من هيئة الأمم المتحدة أن تقوم على الفور بالتحقيق .

وأذكر أيضاً أن إيدن صاحب فكرة هذه الخرافة أمسك فجأة عن الخوض في الحديث عنها بعد أن كان قد لمح لمجلس العموم البريطاني عنها ، بل أكثر من ذلك انهار وخارت قواه وخرجت زوجته في حفل قبل سفرهما إلى جمايكا لكي تنفي باسمه حديث تلك الخرافة عن الشيوعية .

✽ نخرج من هذه الرواية بعدة حقائق :

الأولى : هي أن بريطانيا وفرنسا وإسرائيل أرادوا في محاولة يائسة بعد فشل مؤامراتهم أن يبرروا عملهم العدواني ضد مصر أمام العالم وأمام أمريكا على وجه الخصوص بعد أن فشلوا في عدوانهم وفي جعله أمراً واقعاً .

الثانية : هي أن المتآمرين الثلاثة اختاروا في هذه المحاولة اليائسة أن يضربوا على الوتر الحساس عند أمريكا وهو الشيوعية لكي ينالوا تأييدها

للبجولة الثانية .

ثم بدأت بعد ذلك الحملة المضللة ضد سورية واتهامها بأنها تعد للهجوم على تركيا تارة وعلى العراق تارة أخرى بمساعدة روسيا ، وأن أسلحة روسية قد تكدست فيها إلى آخر ما يعرفه كل من عاش في أحداث سنة ١٩٥٦ ، وانتهت هذه الحملة بالفشل أيضاً عندما صمدت مصر ، وكشفت سورية عن المؤامرة التي كان يراد بها تمزيقها وجعلوا من تلك الحملة تمهيداً لها .

وهدف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل هو تضليل العالم عن حقيقة أهداف كفاح التحرر العربي في مرحلته الحالية ، وإقناع أمريكا على وجه الخصوص أن العرب إنما يخدمون في مرحلة كفاحهم الحالية روسيا والشيوعية !

أما بالنسبة للعالم فإن الخدعة لم تنطل على شعوبه ، وظهر استنكار العالم المرة تلو المرة في القرارات التي اتخذتها الأمم المتحدة فيما يشبه الإجماع باستنكار العدوان ودمغ المعتدين بالتآمر والتنكر لخلق والمواثيق الدولية .

أما بالنسبة لأمريكا فإنها وإن سايرت الرأي العام العالمي وأيدت قرارات الأمم المتحدة فإن هذه السياسة على ما بدا ليست إلا سياسة إيزنهاور الشخصية وليست سياسة حكومته ولا الكونجرس ولا كثير من ذوي السلطة والتفوذ بأمريكا . أولئك الذين وصفتهم من قبل بأنهم معسكرات تعطف بها بريطانيا وأخرى على فرنسا وثالثة على الصهيونية ، ورابعة تعتبر أن في شراء مصر وسورية السلاح من الكتلة الشرقية وتمسك العرب بمبدأ الحياد الإيجابي ما يهدد أمن ومصالح أمريكا .

وقد يكون من الخير أن نعود فنشرح نحن العرب أهداف كفاحنا التحرري للعالم كله ، ولأمريكا على وجه الخصوص لكي نبريء ذمتنا في هذا الوقت الذي يجتاز فيه العالم مرحلة تطور خطيرة لا يجب أن تهمل فيها الحقائق أو تزور الوقائع .

ومحور كفاحنا العربي التحرري اليوم هو الحياد الإيجابي وهو ليس كلاماً حماسياً نقوله ، أو نكرة سياسية نستخدمها للمناورة في ميدان السياسة ، وإنما هو إيمان ينبع من قلب كل عربي وحقيقة تاريخية يحتمها الكفاح العربي عبر السنين ، فلقد جربنا نحن العرب سياسة الانحياز فخرجنا منها ممزقين مستعمرين وضاعت أرضنا وتشرد أهلنا وذبحت أطفالنا

ونعد إلى التاريخ

فقبل الحرب العالمية لأولي وفي أثنائها قامت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين من أجل تحقيق أهداف التحرير العربي ، وكانت هذه الثورة منحازة إلى بريطانيا ، فما الذي حدث ؟

حارب الشريف حسين إلى جانب بريطانيا ضد تركيا وألمانيا ، وكانت أعمال البطولة التي قام بها المرحوم الملك فيصل بن الحسين هو وجيشه العربي هي العامل الحاسم في الانتصارات التي كسبها الحلفاء بقيادة اللبي في فلسطين وسورية ولبنان بتلك السرعة الخاطفة مما أخرج تركيا وهي حليف ألمانيا الرئيسي من الحرب ، وترتب على ذلك انتصار الحلفاء في الغرب كما في الشرق .

وكان جزاء العرب من بريطانيا وفرنسا ليس التجاهل فقط ، وإنما بيع فلسطين لليهود علناً بإصدار وعد بلفور سنة ١٩١٧ في الوقت الذي كان مداد اتفاقاتهم مع الشريف حسين لم يجف ، وأغارت فرنسا على سورية بعد النصر وفرضت عليها سيطرتها بالحديد والنار بعد أن قتلت أبناءها في ميلور وضربت دمشق بالقنابل وقتلت وذبحت الأبرياء تحت اسم الانتداب .

وانفردت بريطانيا بفلسطين وأخذت تمهد للصهيونية ولقيام إسرائيل بشنق أهلها من العرب وتجريدتهم من السلاح ومن كل ما يدافعون به عن أنفسهم ، وبسن القوانين التي تبيح لليهود كل شيء وتحرم العرب أصحاب الأرض والوطن من كل شيء .

وانفردت بريطانيا أيضاً بمصر وفرضت عليها حمايتها ثم احتلالها ،

وبالعراق ففعلت معه المثل ، ولا تزال إلى يومنا هذا تفرض سيطرتها عن طريق الأحلاف ، والعملاء في العراق بعد أن طردت من مصر ثم هزمت في معركة العدوان .

لم تقتصر مكافأة بريطانيا للعرب على انحيائهم لها في الحرب على فلسطين ومصر والعراق فقط ، وإنما امتدت إلى الخليج الفارسي وجنوب الجزيرة العربية واليمن على نحو ما كتبه الصحف وقتذاك .

ونفس الحال ينطبق على فرنسا حليفة بريطانيا التي انحاز لها العرب في الحرب الأولى ، فهي التي هدمت دمشق ، واستعمرت تونس ومراكش ، ونزعت ملكية الجزائر فادعت أنها أرض فرنسية وأن أهلها العرب والمسلمين إنما هم من اللاتينيين الفرنسيين .

كان هذا ثمن الانحياز بعد الحرب الأولى .

أما في الحرب الثانية وحوادثها لا تزال ماثلة في أذهاننا ، فإن العرب لم يكونوا قد آمنوا بعد بالحديث الذي يقول : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فانحازوا أيضا إلى جانب الحلفاء ، وكان جزاؤهم في هذه المرة أشد وأنكى من جزائهم بعد الحرب الأولى ، فإنه ما إن انتهت هذه الحرب حتى هبت الشعوب تطالب بحريتها واستقلالها حسب مبادئ الأطلنطي المشهورة ، بعد أن قامت بواجبها في نصرته الحلفاء وسخرت أرضها وبلادها وأقواتها لخدمة قضيتهم .

وها هو ملخص ما جنيناه نحن العرب من سياسة الانحياز :

قدمت العراق أرضها وموانئها ومطاراتها وأموالها لبريطانيا وحين قام الشعب العراقي يطالب بحقه في الاستقلال بعد النصر كان جزاؤه أن قدمت

إليه أولاً معاهدة بورتسموث فلما ثار وزرفضها . وضعت بريطانيا في الحكم عميلها الأول فصادر حريات الشعوب وأقفل الصحف وملاً السجون والمعتقلات بالأحرار والأبرياء وأمضى مع بريطانيا رغماً عن إرادة الشعب حلفاً أنكى وأبشع من معاهدة بورتسموث ، وإلى يومنا هذا لا يزال شعب العراق يتن ويكافح .

وقدمت مصر أرضها وموانئها ومطاراتها لخدمة بريطانيا وقضية الحلفاء ، وأقرضت مصر بريطانيا أربعمئة مليون جنيه إسترليني اقتطعتها من أقاتها لكي تطعم جنود بريطانيا وجنود الحلفاء ، وضربت القاهرة والإسكندرية بتنازل الطليان والألمان وماتت المئات من المصريين لأن قواعد بريطانيا كانت على أرضهم حول بيوتهم . ودافع الجيش المصري عن قناة السويس وشهد له قواد بريطانيا ، وبيع قطن مصر بسعر التراب لبريطانيا لأنها كانت تريد ذلك ، وأودع المصريون الأحرار السجون والمعتقلات كلما كانت تشاء بريطانيا ، وفرض على مصر حكم إرهابي طيلة فترة الحرب كإرادة بريطانيا .

وجاء النصر . وذهب رئيس وزراء مصر بعد انتصار الحلفاء سنة ١٩٤٥ إلى السفارة البريطانية في القاهرة لكي يسلم السفير البريطاني مطالب مصر في جلاء قوات بريطانيا واستكمال سيادة مصر ، فما كان من السفير البريطاني إلا أن اعتبر أن هذه المطالب سته من مصر وجنون ما بعده جنون ، وقامت المظاهرات في مصر تطالب بالجلاء سنة ١٩٤٧ فتصدت لها جنود بريطانيا في ميدان الإسماعيلية وأطلقت رصاص الإمبراطورية على شباب مصر فقتلته وفعلت نفس الشيء في الإسكندرية ، ثم وقف تشرشل يطالب مصر بعد كل الذي أدته لبريطانيا بثمن حماية بريطانيا لمصر !

وكانت خاتمة المطاف ذلك العدوان الغادر الذي دبرته بريطانيا على مصر

وهي لم تزل مدينة لمصر بل إنها إمعاناً منها في حفظ الجميل لمصر جمدت ما لمصر عليها من دين أخذته وقت شدتها أقوائاً وأموالاً .

وفي سورية ، ضربت دمشق للمرة الثانية بالقنابل بعد الحرب الثانية ، ودمرت دار البرلمان لأن سورية قامت تطالب بحقوقها في السيادة والاستقلال بعد أن حمت ظهر فرنسا في الحرب الثانية .

وفي لبنان اعتقل رئيس جمهوريته ورئيس وزرائه بمعرفة السلطات الفرنسية علناً وعلى رؤوس الأشهاد وأودعا قلعة أراشيا لأن لبنان كان يطالب فرنسا بالوفاء بالعهد والجلاء عن البلاد .

وفي المغرب ، حارب الجنود المغاربة في صفوف الحلفاء من أجل قضيتهم ضد المحور ، ولا تزال موقعة كاسينو المشهورة في إيطاليا تروي قصص البطولة الخالدة للجنود العرب من المغاربة ، وما إن انتهت الحرب حتى كان جزاء مراكش البطش والتقتيل من قبل فرنسا إلى أن جاء اليرم الذي خلعت فيه فرنسا سلطان مراكش ونفته لأنه تمسك بحقوق شعبه في الحرية والاستقلال ، ولا تزال فرنسا إلى يومنا هذا تحتل مراكش بجنودها حتى بعد أن أمضت معها معاهدة الاستقلال .

وكان جزاء تونس أن راحت الجمعيات السرية الفرنسية تشييع القتل والتخريب في تونس لمجرد أنها قامت تطالب بالاستقلال ، ولا تزال تونس تكافح إلى يومنا هذا بقاء الجيوش الفرنسية والموظفين الفرنسيين .

أما الجزائر ، فإن فرنسا قد كافأتها بمحاولة تأكيد نزع ملكيتها من جديد ، وبتجريد أسلحة وأساطيل حلف الأطلنطي لإبادة شعبها وتقتيل نساها وأطفالها ، لا شيء إلا أنهم يطالبون بحقوقهم في الحياة الحرة الكريمة على

أرضهم .

وفي اليمن اليوم قتال ، وفي جنوب الجزيرة العربية قتال ، وفي البحرين نضال ، وعلى البوريمي اعتداء ، وعلى إمارة عمان اعتداء ، وبريطانيا التي وقفنا إلى جانبها في الحرب الثانية هي المعتدية في كل هذه الأماكن العربية التي تبعد عن بريطانيا آلاف الأميال .

وكانت أبشع جريمة ارتكبتها بريطانيا وحلفاؤها بعد الحرب الثانية في حق العرب الذين وقفوا إلى جانب قضية الحلفاء هي مأساة فلسطين العربية . إن هذه الجريمة ستظل وصمة في جبين الإنسانية ووصمة لأولئك الذين تسببوا فيها لن تحي من القلوب والأذهان .

شعب يطرد من أرضه ودياره وبيوته ويؤتى بعصابات من قطاع الطرق لتملك الأرض وتملك الديار وتسكن البيوت وأصحابها مشردون هائمون ، ثم يعترف بتلك العصابات كدولة !

لقد صنعت بريطانيا هذه الجريمة منذ سنة ١٩١٧ وأتمها الرومان سنة ١٩٤٨ باسم أمريكا حين اعترف بدولة قطاع الطرق . كان هذا هو ثمن انحيازنا نحن العرب في الحربين الماضيتين ، من أجل ذلك كان حتمًا ضروريًا أن يتجه الكفاح التحرري العربي إلى الحياد الإيجابي بعد أن قاسى العرب من سياسة الانحياز كل هذه الكوارث والأهوال .

ولم يعوق هذا الكفاح اليوم أو يعطله اتهام البعض له بأنه يخدم روسيا أو يخدم الشيوعية ، فطالما اتهم الكفاح العربي في الماضي بأنه يعمل لصالح قوة أجنبية ولكن ذلك الاتهام لم يكن ليعيش أو يعيق زحف القومية العربية ، ففي جميع مراحل كفاح الأمة العربية ، كان أعداء العرب أو الذين لا

يفهمونهم يحاولون اتهام كفاحهم بأنه في صالح جبهة أجنبية .

فقبل الحرب العالمية وأثناءها ، أشيع أن الحركة الوطنية العربية تخدم مصالح المحور النازي الفاشيستي .

واليوم تزعم الجهات أن الحركات الاستقلالية العربية إنما تخدم مصالح روسيا وأنها لذلك تلقي منها التشجيع والتحريض !

وقد أثبت التاريخ أن الكفاح العربي في جميع مراحلہ إنما كان دائماً من أجل العرب ، والعرب وحدهم .

فبمجرد انتهاء الحرب الأولى أصبح الكفاح العربي موجهاً ضد بريطانيا بعد أن استيقظ العرب على حقيقة مريرة مؤلمة هي أن بريطانيا كانت تستغل ثروتهم لصالحها وبدلاً من أن تعترف باستقلال البلاد العربية التي انسلخت عن الإمبراطورية العثمانية بادرت بفرضت سيطرتها عليها .

ولو انتصرت دول المحور في الحرب الثانية وحاولت فرض سيطرتها على البلاد العربية لقاومتها هذه البلاد كما قاومت بريطانيا وفرنسا من أجل الحرية والاستقلال .

كيف يفهمون الحياد؟

نخلص من ذلك إلى أن اتهام الكفاح العربي اليوم بأنه في خدمة روسيا أو الشيوعية إنما هو سخف يريد به أعداء العرب تشويه نضالهم ، وأبسط دليل على ذلك أن الشيوعية محرمة في معظم البلاد العربية في الوقت الذي تقوم فيه في فرنسا وفي بريطانيا وفي أمريكا أحزاب شيوعية رسمية .

إلا أن هناك حقيقة أخرى يجب ألا نغفلها ، وهي فهم روسيا للحياد الإيجابي وفهم الغرب للحياد الإيجابي .

فعندما نشأت فكرة الحياد ، خشى الاتحاد السوفيتي أن تكون هذه الفكرة معادية له ، وأخذ في مهاجمة الداعين لها ، وحين اتضح له أن الحياد يعني عدم الانحياز إلى كتلة دون أخرى وأن هدفه هو السلام ، بادر فغير موقفه من المحايدين وأصبح يحترم سياستهم ، وأبلغ مثل على ذلك علاقة الاتحاد السوفيتي بالهند وعلاقته بمصر .

فليست الهند ولا مصر بلاداً شيوعية ، ومع ذلك تقوم بين البلدين وبين الاتحاد السوفيتي علاقات أساسها الاحترام المتبادل على قدم اساواة ، وعدم التدخل في شؤون الغير وحرية كل بلد في اختيار النظم التي يختارها ، فلم يحدث مثلاً أن وضع الاتحاد السوفيتي شروطاً لشراء قطننا ، ولم يطلب منا الاتحاد السوفيتي إقامة قواعد في أرضنا ، ولا الدخول في أحلاف ضد أحد ولا فرض علينا بعثة عسكرية ، ولا حاول من قريب أو بعيد أن يتدخل في شؤوننا .

أما فهم الغرب لفكرة الحياد الإيجابي فما زال بعيداً كل أبعد عن الواقع

والصواب .

ففي بريطانيا وفرنسا مثلاً يعني الحياد الإيجابي ضياع سيطرتها الاستعمارية على دول كانت بالأمس نهباً لهم يتصرفون في أرزاقها ومقدراتها .

وفي أمريكا لا تزال الكثرة تعتقد أن الحياد الإيجابي ليس إلا شعاراً للشيوعية وهم للأسف لا يزالون يقولون بمبدأ : من ليس معنا فهو علينا . وهذا خطأ فاحش يقع فيه الغرب اليوم لا بالنسبة للعرب وحدهم وإنما بالنسبة لشعوب كثيرة في مختلف أنحاء العالم .

إن الحياد الإيجابي بغض النظر عن كل اتهامات أصبح ضرورة حتمية يقتضيها التطور في هذه المرحلة من مراحل كفاح الأمة العربية ومفهومنا له نابع من صميم تاريخنا المير في الكفاح ومقاومة السيطرة الأجنبية .

فالواقع يحتم علينا ألا ننحاز لكلتة دون أخرى بعد أن عرفنا على يد بريطانيا وفرنسا كيف يكون جزاء الانحياز .

ونحن لا نريد تدخلاً في شؤوننا ولا سيطرة أجنبية تفرض علينا ، ونحن نريد أن نتبادل المنفعة مع الجميع على قدم المساواة .

ونحن نصر على أن نصادق من يصادقنا وأن نعادي من يعاديننا ونحن نرفض أن نكون ذيلاً لأحد أو تابعاً لأحد أو منطقة نفوذ لأحد .

هذا هو منطق كفاحنا العربي اليوم . فكيف يمكن أن نحققه ؟

إنه لا سبيل إلى ذلك إلا الحياد الإيجابي . فهو وحده الذي نستطيع أن نحقق من خلاله هذه المثل ، وسيصبح أمراً يدعو إلى السخرية أن يدعي البعض أننا ننصر كتلة على كتلة أو فريقاً على فريق في الوقت الذي يحتم علينا فيه كفاحنا أن نقف في الوسط لكي نعيش .

والحياد الإيجابي ليس سلبية كما يتوهم البعض ، فهناك فرق بين الحياد السلبي والحياد الإيجابي .

فالسلبية لا بد أن تخدم اتجاهاً من اتجاهات القوى العالمية ، أما الإيجابية فإنها تتسم بأنها كفاح وثبات عند وجهة نظر محددة .

فالحياد الإيجابي والحالة هذه ليس الوقوف بعيداً عن العالم وما يجري فيه كما يوحي معنى الحياد السلبي وإنما هو مسؤولية والتزام ذو شقين ، الشق الأول وطني والشق الثاني عالمي .

أما الشق الوطني فهو يعني صيانة القومية ، وتنميتها والدفاع عن حرية الوطن ، وتخليصه من كل سيطرة أجنبية .

أما الشق العالمي فهو يعني العمل مع المجموعة البشرية من أجل القيم ومن أجل الأمن والسلام حتى يمكن توفير حياة كريمة لجيلنا وما سيأتي بعده من أجيال .

والآن وقد انسحبت إسرائيل ، في ضجة وصخب ، وبعد طول عناد ، يجب أن نضع أمامنا هذه الأسئلة :

فيم كان تلكؤ إسرائيل في الانسحاب ؟ فيم كان تحديها لقرارات الأمم المتحدة ؟ فيم كان تمرداها على إرادة الرأي العالمي ؟ هل كانت تستمد العناد والتحدي ، والتمرد ، من ذاتها ؟

كيف يمكن أن تكون لها هذه القوة التي لا تبالي أمم اشرق ولا أمم الغرب ، ولا الأمم كلها متحدة ؟

إن إسرائيل أذكى من أن تقف وحدها ، وأضعف من أن تتحدى أية قوة متجمعة ، أو متفرقة فلماذا اندفعت في هذا التيار الخطير الذي عرضها للسخط ، والنقمة وإسالة دموع رجلها المسئول ، فأعلن قرار لانسحاب وهو

بيكي ؟

إن إسرائيل كانت مدفوعة إلى هذا التيار بقوة الاستعمار ، كان مطلوباً منها أن تصبر حتى يرى المستعمرون ماذا سيكون من شأن العرب ؟ هل ستفرق كلمتهم ؟ وفي هذا الجو لمعت بروق ساطعة اللمعان ، بروق تحمل الإغراء ، وبروق تحمل التهديد .

وفي هذا الجو العاصف اجتمع أقطاب العرب ، فلم يأخذ البريق أبصارهم ، ومضوا في طريقهم الشائك الوعر ، الطريق المؤدي إلى حرية العرب ، والتمسك بحقوق الشعوب ، وتأمين السلام العالمي .

وكان هذا امتحاناً للقومية العربية ، وكانت نتيجة الامتحان انتصاراً عميقاً لها ، وكان تعجيلاً بانسحاب إسرائيل .

إن القرارات التاريخية التي أصدرها أقطاب العرب ، قد عبرت عن إرادتهم في إصرارهم على أن يعيشوا أحراراً ، لا يعادون أحداً ولا يتبعون أحداً ولا يسمحون بالعدوان عليهم من أحد ، لن يكونوا ذيولاً ، ولا أتباعاً ، ولا يرضون أن يكونوا مخلباً لأي قط ، ولا نجماً يدور في أي فلك .

لقد سلك العرب هذا الطريق الشاق المرير من أجل حريتهم وحقوقهم وكيانهم ، من أجل أن يعيشوا في سلام ويعيش معهم العالم في سلام ، ومن أجل أن تحيا بلادهم فلا تصبح وقوداً لنار الحرب ، ولا ميداناً للقنابل الذرية والهيدروجينية .

من أجلنا نحن ، من أجل تراثنا وحضارتنا وقوميتنا ، من أجل مبادئنا ، من أجل أبنائنا ، من أجل ابتسامة أطفالنا قررنا الحياد الإيجابي ، والوحدة العربية ، والدفاع عن أنفسنا بأنفسنا ، خارج نطاق الأحلاف .